Kur'an-ı Kerim'in Arapça Dilbilgisinin Ortaya Çıkışı ve Gelişimi Üzerindeki Etkisi*

Dr. Mohamed Yazid SALEM

Batnah Üniversitesi
salemmohamedyazid@gmail.com

Öz

Ruhun bedenle bağlantısı gibi Arapçanın da Kur'an-ı Kerim ile bağlantısı olduğu gizlenemez. Bu nedenle tüm dilbilimsel ve dilbilgisel çalışmalar, Arap diline hizmet etmek ve onu hatalardan korumak amacıyla yapılır, bu bilimler de her şeye kadir olan Allah'ın kitabına hizmet eden bilimler arasında sayılır. Arapça dilbilgisi, özellikle Kur'an-ı Kerim'i anlamak ve onu korumak gibi asil ve büyük bir amaç için ortaya çıktı.

Buna göre, bu araştırma ile Arapça dilbilgisi ile Kur'an-ı Kerim arasındaki gerekli korelasyonu tarih, kompozisyon, yazarlık, güdüler ve hedefler konuları başlıkları altında açıklığa kavuşturmak istiyoruz. Arapça dilbilgisi ile Kur'an-ı Kerim'i köken, tarih, kompozisyon, motif ve amaç olarak ayırmak zordur, aralarında güçlü bir ilişki vardır. Arapça dilbilgisini bilmeden Kuran'ın doğru bir şekilde anlaşılması sağlanamaz. Arapça dilbilgisi hakkında doğru bir anlayış sağlamak için bu araştırmada bu konu üzerinde duracağız.

***Anahtar Kelimeler**: Kur'an-ı Kerim, Arapça dilbilgisi, Doğuş, Evrim, Arapça, Hata.*

* Makale geliş tarihi / received: 02.04.2020
Makale kabul tarihi / accepted: 21.05.2020
DOI: 10.17932/IAU.ARAP.2019.020/ayad_v02i1005

The Effect of The Holy Qur'an on the Emergence and Development of Arabic Grammar

Abstract

It is no hidden to the people of verification that the Arabic language is linked to the Holy Qur'an like the connection of the soul to the body. Therefore all linguistic and grammatical studies came for one goal which is to serve the Arabic language and protect it from mistakes and slipperies. And, the linguistic sciences -which heads by Arabic grammar - are considered among the sciences that serve the book of Almighty Allah.

The Arabic grammar has arisen for a noble and great goal which is to understand the Holy Quran and to preserve its safety. Especially after the mix between the Arabs and the foreigners who entered into the religion of Allah as regiments, the mistake was spread and on tongues of many of them.

Accordingly, we intend from this research to clarify the necessary correlation between the Arabic grammar and the Holy Qur'an - as it is considered the greater book of Arabic-, so that it is difficult for us to separate one from the other in its origins, history, composition, authorship, motives, and goals, as there is a strong relation. A correct understanding of the Holy Qur'an is not achieved unless a correct understanding of the Arabic grammar is achieved, and this is what we will stand on it in this research.

***Keywords**: The Holy Quran, Arabic grammar, Genesis, Evolution, Arabic, Mistake.*

القرآن الكريم وأثره في نشأة النَّحو العربي وتطوُّره

د. محمد يزيد سالم[1]

ملخص:

لا يخفى على أهل التَّدقيق والتَّحقيق أنَّ اللُّغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم ارتباط النَّفس بالجسد، ولذلك فإنَّ كلَّ الدِّراسات اللُّغوية والنَّحويَّة جاءت لأجل هدف واحد؛

[1] **جامعة باتنة-1- الحاج لخضر/ الجزائر**

هو خدمة اللُّغة العربية وحفظها من الخطأ والزَّلل، وقد اعتبرت العلوم اللُّغوية- وعلى رأسها علم النَّحو العربي- من العلوم الخادمة لكتاب الله تعالى؛ فقد نشأ النَّحو العربي لهدف جليل ونبيل يتمثَّل في فهم القرآن الكريم والمحافظة على سلامتِه، خصوصًا بعد اختلاط العرب بالأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجًا، ففشا اللَّحن وانتشر على ألسنة كثير منهم. بناءً عليه فإنَّنا نروم من هذا البحث بيان ذلك التَّلازم الضروري بين النَّحو العربي والقرآن الكريم- باعتباره يمثِّل كتاب العربية الأكبر- حتى إنَّه ليعسُر علينا فصل أحدهما عن الآخر في النَّشأة والتَّأريخ والتَّكوين والتَّأليف والدَّوافع والغايات، لما صار بينهما من التزاوُج المكين والتمازج المتين، إذ لا يتحقق الفهم الصحيح للقرآن إلاَّ بتحقق الفهم الصحيح للنَّحو العربي، وهو ما سنقف عليه في بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحيَّة: القرآن الكريم، النَّحو العربي، النشأة، التَّطوُّر، العربية، اللَّحن.

مقدمة:

نشأت اللُّغة العربية في أحضان الجزيرة العربية خالصة نقية سليمة ممَّا يشُوبُها أو يُعكر صفوها من أدران اللُّغات واللَّهجات الأخرى، وظلَّت على تلك الحال إلى أنْ جاء الإسلام وتوسعت رقعة الدَّولة الإسلاميَّة في شتى الأمصار والأصقاع، وكان من ثمرات تلك الفُتوحات أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجًا، فاندمجوا مع بعضهم البعض، فكان لزامًا أن يتكلم غير العربي بالعربية من أجل قراءة القرآن قراءةً صحيحة فصيحة لا تشوبها شائبة.

ومع كرّ الأيَّام ومرّ السَّنوات أدرك أهل العربية أنَّ لغتهم تُواجه خطر اللَّحن- الذي أخذ ينتشر بين سُراةِ القوم- والتَّحريف والفساد اللُّغوي، ممَّا أدى إلى ظهور علم النَّحو؛ الذي يُعدُّ خطَّ الدِّفاع الأوَّل عن اللُّغة العربية والقرآن الكريم.

ونهدف من بحثنا هذا إلى الوقوف على مدى تأثير القرآن الكريم في نشأة أحد أهم علوم اللغة العربية على الإطلاق، وهو علم النَّحو العربي، وبيان أنَّ سبب نشأة النَّحو العربي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالنص القرآني المقدس- والذي يمثل كتاب العربية الأكبر كما وصفه أمين الخولي- وذلك بعد فشو اللَّحن على ألسنة الأعاجم واختلالها بعد انبلاج نور الإسلام وسطوع نجمه، وكذا بيان أنَّ ترعرع النَّحو العربي ونمو مباحثه واكتمال أصوله كان في رحاب القرآن الكريم. ومن أجل الوصول إلى المبتغى سنحاول الإجابة على جملة من السؤالات من قبيل:

- كيف ســـاهم القرآن الكريم في تكوين مجموعة من الظروف، والتي ســـاهمت بدورها في وضع قواعد اللغة العربية؟

- أين تكمن أهمية النَّحو العربي في خدمة النص القرآني وفهم ألفاظه ومعانيه.

أمَّا عن أهمية الموضـــوع فتكمن في أنَّه يريد بيان أنَّ القرآن الكريم- المعجز في ألفاظه ومعانيه والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- خليق بأن تكون أســـاليبه الرفيعة وتراكيبه البديعة النموذج الذي يُحتذى به وينحى نحوه في بســـط قواعد اللغة وأحكامها، والتي اســـتعصـــت حتى على أكابِرِ النَّحويين ممَّن تصـــدَّوا لتيسير قواعد النَّحو وتهذيبها وتشذيبها.

وقد تناولنا في بحثنا الحدود الموضوعية لملاءمتها الدراسة؛ حيث إنَّها تحاول بيان وإبراز أثر القرآن الكريم ودوره الكبير والمباشر في نشأة النَّحو وترعرعه في ظلِّ القرآن الكريم، ثمَّ كان بعد ذلك من بين أهم العلوم العربية لفهمه- أي القرآن- واستجلاء معانيه الخفيَّة.

أمَّا عن الدِّراسات السابقة ذات الصلة بهذا الموضوع فنذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- علي أبو المكارم، القرآن والنَّحو، نظرة على مراحل العلاقة التَّاريخيَّة،

- عبد القادر بن فطة، أهميَّة النَّحو في فهم لغة القرآن،

- عوض بن حمد القزوي، اللُّغة والقرآن،

1- مفهوم النَّحو:

أ- لغةً: النَّحو في اللُّغة:" هو القصـــد والتَّوجُه والطَّريق أو الســـبيل"، قال" الزَّمخشري"(ت538هـ): « نَحْو: هُوَ عَلَى أَنْحَاءٍ شَتَّى: لاَ يَثْبُتُ عَلَى نَحْوٍ وَاحِدٍ، وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَعِنْدَهُ نَحْوٌ مِنْ مَائَةَ رَجُلٍ. وَإِنَّكُمْ لَتَنْظُرُونَ فِي نُحُوٍ كَثِيرَةٍ، وَفُلاَنٌ نَحْوِيٌّ مِنَ النُّحَاةِ، وَانِتَحَاهُ: قَصَدَهُ»[1].

[1]- الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ت538هـــ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1419هـــــ/1998م، ج2، ص257. مادة:(نحو).

وجاء في"لسان العرب" لابن منظور(ت711هـ) قوله:« النَّحْوُ: إِعْرَابُ الكَلاَمِ العَرَبِي، وَالنَّحْوُ: القَصْدُ وَالطَّرِيقُ، يَكُونُ ظَرْفًا ويَكُونُ اسْمًا، نَحَاهُ يَنْحُوهُ ويَنحَاهُ نحوًا وانتحَاهُ ونَحْوُ العَرَبِيَةِ مِنْهُ،[...] وَهُوَ فِي الأَصْلِ مَصْدرٌ شَائِعٌ؛ أَيْ: نَحَوْتُ نَحْوًا كَقَولِكَ: قَصَدْتُ قَصْدًا[...] وَفِي بَعْضِ كَلاَمِ العَرَبِ: إِنَّكُمْ لَتَنْظُرُونَ فِي نُحُوٍّ كثيرةٍ؛ أَيْ فِي ضُرُوبٍ مِنَ النَّحْوِ، ونَحَا الشَّيءَ يَنحاهُ وينحُوهُ إذَا حَرَّفَهُ، ومِنْهُ سُمِّيَ النَّحويُّ؛ لأَنَّه يُحَرِّفُ الكَلاَمَ إلى وُجُوهِ الإِعْرَابِ»[2].

ب- اصطلاحًا:

أورد" ابن جني"(ت392ه) تعريفًا للنَّحو مفاده أنَّه:« إنتحاءُ سمت كلام العرب في تصرُّفِه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والاضافة، والنسب، والتَّركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللُّغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم؛ وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها»[3].

والذي يبدو من هذا التَّعريف أنَّ النَّحو في منظور" ابن جنّي" يهتم بدراسة الكلمات في كلِّ أحوالها، وأبنيتها، سواءً وهي مفردة؛ أي لم تدخل في تركيب آخر، أم بعد دخولها في جملة أخرى.

وعرَّفه" ابن فرخان"(ت 548هـ) صاحب كتاب(المستوفى في النَّحو) بقوله:« النَّحو صناعة علميَّة ينر بها صاحبُها في ألفاظ العرب من جهة ما تتألَّف بحسب استعمالهم، ليعرف النسبة بين صيغة النَّظم وصورة المعنى فيتوصَّل بإحداهما إلى الأخرى»[4].

حملاً على هذا المفهوم، فإنَّ النَّحو هو العلم الذي يبحث عن الألفاظ بالنَّظر إلى هيئاتِها التَّركيبيَّة، وتأديتِها للمعاني الأصليَّة التي جيئت من أجلها، وبناءً عليه فإنَّ أيَّ باحثٍ في علم النَّحو سيتعاون- دون شكٍ- مع الباحث في علم المعاني، حيث إنَّ

---

[2]- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت711هـ) لسان العرب، دار صادر،(د، ط)، بيروت، لبنان،(د، ت)، مج15، ص309-310. مادة:(نحا).

[3]- ابن جني(أبو الفتح عثمان ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،(د، ط)، مصر،(د، ت)، ج1، ص34.

[4]- ابن فرخان(كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم ت548هـ)، المستوفى في النحو، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية،(د، ط)، 1407هـ/1978م، ج1، ص11.

كلاًّ منهما يبحث في المركبات إلاَّ أنَّ الفارق بينهما هو أنَّ« النَّحوي يبحثُ عنها- أي المركبات- من جهة هيئاتها التّركيبيَّة صحةً وفسادًا، ودلالة تلك الهيئات على معانيها الوصفيَّة على وجه السداد، وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة حسن النَّظم المعبَّر عنه بالفصاحة في التَّركيب، وقبحه، ومرجع ذلك الفصاحة إلى الخُلوِ من التَّعقيد، فيما يبحث عنه في علم النَّحو من جهة الصحة والفساد، ويبحث عنه في علم المعاني من جهة الحسن والقبح، وهذا معنى كون علم المعاني تمام علم النَّحو»[5].

وعرَّف الأشموني(ت929هـ) النَّحو في شرحه لألفية ابن مالك، بقوله:« هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصِّلة إلى معرفة أحكام أجزائِه التي ائتلف منها، والمراد به هنا ما يرادف قولنا علم العربية لا قسيم الصَّرف، وهو مصدر أُريدَ به اسم المفعول؛ أي المنحو كالخلق بمعنى المخلوق»[6].

ويذهب البعض إلى أنَّ المقصود بالنَّحو هو ذلك العلم الذي يعرف به التركيب العربي من حيثُ الصحة والخطأ، فهو- في نظرهم-« عبارة عن العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب: أعني أحكام الكلم في ذواتِها، أو فيما يعرض لها بالتَّركيب لتأدية أصل المعاني: من الكيفيَّة، والتقديم، والتأخير، ليحترز بذلك عن الخطأ في فهم معاني كلامهم، وفي الحدو عليه»[7].

وعرَّف الشيخ" مصطفى غلاييني"- وهو من المحدثين- النَّحو بقوله:« علم بأصولٍ تعرف بها أحوال الكلمات العربيَّة من حيث الإعراب والبناء؛ أي من حيث ما يعرض لها في حال تركيبها، فبه نعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمة من رفعٍ، أو جرٍ، أو جزمٍ، أو لزومِ حالةٍ واحدةٍ، بعد انتظامها في الجملة، وكان

---

[5]- ابن كمال باشا، ثلاث رسائل في النحو، تحقيق: محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص183.

[6]- الأشموني(أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى بن يوسف ت929هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمَّى - منهج السالك إلى ألفية ابن مالك-، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان،1375هـ/1955م، ج1، ص5-6. ابن عصفور الإشبيلي(أبو الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي الحضرمي ت669هـ)، المقرب ومعه مُثُل المقرب، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود ومحمد علي عوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص67.

[7]- ابن الناظم(بدر الدين محمد بن مالك)، شرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الحميد السيد عبد الحميد، دار الجيل،(د، ط)، بيروت، لبنان،(د، ت)، ص18.

الصـــرف قديمًا جزءًا من علم النَّحو، وكان يعرف النَّحو بأنَّه علمٌ تُعرف به أحوال الـــكـــلـــمـــات الـــعـــربـــيـــة مـــفـــردة ومركَّبة»[8].

2- العامل الدِّيني وأثره في نشأة علم النَّحو:

بعد أن انتشر العرب في الأقطار التي دخلها الدين الإسلامي خصوصًا بلاد الشَّام والعراق وبلاد الفرس، وانتهت عزلتهم بلغتهم التي كانت منحصرة في بلاد الحجاز، شاركهم في التَّكلُّم بها شعوبٌ أخرى مسلمة، واختلط العرب بالأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجًا، وأصبحوا إخوةً في الدِّين والملَّة، يتلون كتابًا واحدًا بلسانٍ عربي مبين، بعدا هذا فشا اللَّحن في اللُّغة العربية وفسدت السليقة العربية، ممَّا دعا علماء العربية الغيورين على دينهم ولغتهم إلى ابتكار علم يقيم الألسنة ويصلحها سموه" علم النَّحو"، فقد كان« من الماسة أن يفهم هذا العدد الغفير من الدَّاخلين حديثًا في الإسلام، والناشئين في بيئاتٍ لا تتكلَّم العربية، كلام الله فهمًا كاملاً، أن يُحسن أداءه في الصلاة المفروضة، ليس هذا فقط، بل لقد كان من الضَّرورة الماسة أن تمهد السبيل أمام هؤلاء الأعاجم إلى امتلاك ناصية الدقائق المعنونة في العربية، والتَّضلُّع من متنها الزاخر بالمفردات[...]»[9].

ولو نظرنا نظرة إجمالية إلى العلوم العربية- وعلى رأسها علم النَّحو- في العصور الإسلامية، لوجدنا أنَّها نشأت لخدمة النَّص القرآني أو تفرعت عن نصوصه إذ أنَّ القرآن الكريم كان بمثابة المركز الرئيسي الذي تجنّدت لأجله كلُّ المعارف العربية، ولألفينا أيضًا كلَّ العلوم العربية الخالصة محيطةً به، ولم يكن علم النَّحو في الواقع سوى حلقة مهمَّة من سلسلة تلك العلوم التي جاءت لكي تخدم القرآن الكريم، وتُحافِظ على نُصوصِه[10].

---

[8]- مصطفى غلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط28، صيدا، بيروت، 1414هـ/1993م، ج1، ص9.

[9]- عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنية في تطوُّر الدرس النَّحوي، معهد الإنماء العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1978م، ص45. وينظر: عبد السلام غشير، تطور التَّفكير اللُّغوي من النَّحو إلى اللِّسانيات إلى التَّواصل، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، المغرب، 2010م، ص11.

[10]- ينظر: حسن عون، اللُّغة والنَّحو، دراسة تاريخية وتحليليَّة ومقارنة، مطبعة روايال، ط1، القاهرة، مصر، 1952م، ص155.

وممَّا يؤكِّد أنَّ فشــو اللَّحن في القرآن الكريم كان الســبب الرئيس لوضــع قواعد النَّحو العربي ما جاء على لسان" ابن خلدون"(ت808هـ) في مقدمته، حيث قال:« لما جاء الإســلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدُّول، وخـالطوا العجم، تغيَّرت تلـك الملكـة بمـا أَلقى إليهـا السَّــمع من المخـالفـات التي للمتعربين، والســمع أبُو الملكات اللِّســانيَّة، ففســـدت بما ألقى إليها ممَّا يُغايُرها لجنوحِها إليه باعتياد السَّــمع، وحشــى أهل الحُلوم[11] منهم أن تفســد تلك الملاكة، رأسًــا ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاســتنبطُوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطَّردة شبه الكلِّيات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشـباه منها بالأشـباه مثل أنَّ الفاعل مرفوع والمفعول منصـوب، والمبتدأ مرفوع، ثمَّ رأوا تغيُّر الدَّلالة بتغيُّر حركات هذه الكلمات فاصـــطلحوا على تســميتِه إعرابًا وتســميَّة المُوجب لذلك التَّغيُّر عاملاً وأمثال ذلك، وصـــارت كلُّها اصــطلاحات خاصــة بهم، فقيَّدوها بالكتاب وجعلوها صــناعة لهم مخصــوصــة، واصطلحوا على تسميتها علم النَّحو»[12].

ومن الطبيعي أن نشـأة النَّحو العربي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، يقول الباحث" عبد العال ســالم مكرم":« ونشـــأة النَّحو العربي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، ولولا القرآن لما نشـأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كلِّ علم من علوم العربية وآدابِها»[13]؛ لأنَّه عنصـــر مهم في لغة القرآن التي يناط البناء العقدي والتَّشريعي للمجتمع الإسلامي بالضبط الكامل لمبانيها ومعانيها حفاظًا على سلامة معطياتِها ودقتها« ذلك أنَّ القرآن الكريم- وهو محور العقيدة الذي تدور معه قممها ومبادئها وأخلاقها والذي بطلب من كلِّ مسـلم أن يحفظ منه قدرًا يتيح له القيام بفروض الإســلام، وفي طليعتها الصــلاة- قد أســهم في تكوين مجموعة من الظروف عقب الفتح الإســلامي للأمصــار المختلفة، وهي ظروف نتج عن تفاعلها

---

[11]- الحلوم:" العقل والأنا". ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الطور، الآية:32].

[12]- ابن خلدون(ولي الدِّين عبد الرحمن بن محمد ت808هـ)، مقدِّمة ابن خلدون، حقَّق نصوصه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه: عبد الله بن الدَّرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، سوريا، 1425هـ/2004م، ج2، ص368-369.

[13]- عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدِّراسات النَّحويَّة، مؤسَّسة علي جراح الصباح، ط3، الكويت، 1978م، ص45.

معًا ضـرورة التَّفكير في وضـع قواعد للُّغة لتيسـير تعلمها للأجناس التي فتحها الله للمسلمين وأقبلت على الإسلام »[14].

بناءً عليه فالنَّحو وُضـــع لعلاج حالةٍ عامَّة، وداء اســـتشـــرى حفظت لنا بعض النَّماذج التي كانت لها صـلة بواضـع النَّحوأو الدَّاعي إلى وضـعه، أو ما تعلَّق منها بموضـوعٍ له دلالته ووضـعه الخاص، وهذا الأخير أكثر جريانًا ودورانًا مع قصـة نشأة النَّحو العربي باعتباره سببًا مباشرًا لها، وذلك هو قراءة الأعرابي لقوله تعالى: **وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُـولِهِ إِلَى النَّاس يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْـرِكِينَ وَرَسُـولُهُ**[التوبة، الآية:03] بكسـر اللاَّم في قوله:" وَرَسُـولِهِ" وما يؤدِّي إليه هذا اللَّحن من فسـادٍ في المعنى، إذ يجعل الله سـبحانه وتعالى بريئًا من رسـولِه كما هو بريء من المشـركين- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- فيمتاز هذا النَّموذج بكونه آية قرآنية، لها أشباهٌ، قال" القرطبي"(ت671هـــــ):« وعن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابيٌّ في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: من يُقرئني ممَّا أُنزل على محمد صـــلى الله عليه وســـلم؟ قال: فأقرأه رجلٌ" براءة"، فقال:" أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ" بالجرّ، فقال الأعرابيُّ: أَوَقَدْ بَرِئَ الله من رسولِه؟ فإن يكن الله برئ من رسـولِه، فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابيّ، فدعاه، فقال: يا أعرابيُّ، أتبرأُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسـألتُ: من يقرئني؟ فأقرأنِي هذا سـورة براءة، فقال:" أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْـرِكِينَ وَرَسُـولِهِ"، فقلتُ: أوقد برئ الله من رسـولِه؟ إن يكن الله برئ من رسُـــولِه، فأنا أبرأُ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابيُّ، قال: فكيف يا أمير المؤمنين؟ قال:" أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْـرِكِينَ وَرَسُـولُهِ"، فقال الأعرابيُّ: وأنا والله أبرأُ ممَّا برئ الله ورســـولُه منه، فأمرَ عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه ألاَّ يُقرئ النَّاس

إلاَّ عالمٌ باللُّغة، وأمر أبَا الأسود، فوضع النَّحو»[15].

---

[14]- علي أبو المكارم، القرآن والنَّحو، نظرة على مراحل العلاقة التَّاريخيَّة، ســلســلة دراســات عربية وإسلاميَّة، مركز اللُّغات الأجنبيَّة والتَّرجمة، القاهرة، مصر، ع17، 1993م، ص6.

[15] - القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت671هـــــ)، الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضـمَّنه من السـنَّة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسـن التُّركي ومحمَّد رضـوان عرقسـوسـي، مؤسَّسة الرّسالة للطباعة والنشر والتَّوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ج1، ص43. وينظر: ابن الأنباري(أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمَّد ت577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المنار، ط3، الزرقاء، الأردن، 1405هـ/1985م، ص19-20.

فاللَّحن الواقع في قراءة هذه الآية، خطأ نحوي، إذ يُغيِّر المعنى تغييرًا جذريًا لا يحتمل الغفران، وهو ما جعل أمير المؤمنين عمر يحصر قُراء القرآن ومفسِّريه في علماء اللُّغة، لئلاَ تتغيَّر كلمات القرآن تركيبًا بالزِّيادة أو النقصـــان، أو بالإعراب، وذلك باســـتبدال حركات أواخر الكلم، والتَّغيير تركيبًا أو إعرابًا تتحول به المعاني القرآني، وتتَّجـه آيـات الله تعـالى إلى معـانٍ أخرى، ومن أجل الحفاظ على القرآن الكريم ولغته وبقائها نقية صـــحيحةً، أمر عمر- رضـــي الله عنه- أبا الأســـود الدؤلي(ت69هـ-) بوضع النَّحو. لكنَّ السؤال الذي يطرح نفسه بقوَّة هو إن صـحَّت هذه الرِّواية التي تنسب أمر وضـع النَّحو إلى عمر بن الخطاب- رضـي الله عنه وأرضـــاه-، لماذا لحن القراء في هذه الآية فحســـب؟، ولماذا كرَّروها في مواضـــعٍ كثيرة، ولم يذكروها في غيرها؟ ثمَّ أولم يكن في القرآن الكريم غير هذه الآية التي يُمكن للقارئ أن يلحن فيه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَـى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فـاطر، الآيـة: 28]. وغيرهـا من الآيـات التي تتغيَّر فيهـا رتبـة الكلمات؛ تقديمًا وتأخيرًا؛ فيلحق بها خلط في الإعراب؟ أم إنَّ الفصـحاء من العرب والمدافعين منهم عن اللُّغة العربية اكتفُوا بهذه الآية وجعلوها مثالاً للحن الواقع في القرآن الكريم[16].

وقد استوجب اللَّحن الواقع في القرآن الكريم استنهاض الهمم، ودعَا إلى الاستنكار وهناك بعض المواقف الأخرى التي اســـتنكر فيها الأعراب لحنًا سُـــمع في بعض حروف القرآن الكريم، فقد رُوي أنَّ أعرابيًّا سمع إمامًا يقرأ: ﴿ **وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا** ﴾[البقرة، الآية:221] بفتح التَّاء في" تَنْكَحُوا"، قال ابن جابان:« ولا إن آمنوا أيضًـــا لا ننكحهم، فقيل له: إنَّه يلحن، وليس هذا يقرأ، فقال: أخروه، قبَّحه الله، ولا تجعلوه إمامًا؛ فإنَّه يُحل ما حرَّم الله»[17].

وممَّا جُعل سببًا مباشرًا لوضع علم النَّحو اللَّحن الذي وقع في قراءة قوله تعالى: ﴿ **لاَ يَـأْكُلُـهُ إِلاَّ الْخَـاطِئُون** ﴾[الحـاقـة: الآيـة37] بنصـــب" خَـاطِئِينَ"، قـال ابن الأنباري(ت577هـ):« وروي أنَّ سبب وضع على- رضي الله عنه- لهذا العلم- أي

(16) - ينظر: أحمد جلايلي، مقدِّمة لأصـــول النَّحو العربي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، مصـــر، 1434هـ/2013م، ص106.

(17) - ابن عبد ربه(ت328هـــ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1404هـــ،ج4، ص65.

النَّحو- أنَّه سمع أعرابيًّا يقرأ: لا يأكلُه إلاَّ الخاطئين فوضع النَّحو»[18].

وما يؤكِّد أنَّ سبب نشوء النَّحو العربي هو اللَّحن الذي وقع في قراءة القرآن ما جاء على لسان" الزبيدي"(ت379هـ) في قوله:« ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل النَّاس فيه أفواجًا، وأقبلوا إليه أرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، واللُّغات المختلفة، ففشا الفساد في اللُّغة، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليُّها، والمُوضِّح لمعانيها، فتقطن لذلك من نافر بطباعه سوءُ أفهام النَّاطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فُشُوّ ذلك وغلبتِه؛ حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أنْ سبَّبُوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه »[19].

كما أورد" السيرافي"(ت385هـ) روايةً مفادُها: أنَّ زيادًا بن أبيه(ت53هـ) بعث إلى أبي الأسود الدؤلي قائلاً:« اعمل شيئًا تكون فيه إمامًا ينتفع النَّاس به، وتعرب به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئًا يقرأُ:" أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ"، فقال: ما كنتُ أظنُّ أنَّ أمر النَّاس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتبًا لَقِنًا يفعل ما أقول، فأتى بكاتبٍ من عبد القيس، فلم يرضه، فأتى بآخر- قال أبو العباس: أحسبه منهم- فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحروف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئًا من ذلك غنَّة فاجعل مكان النقطة نقطتين، فهذا نقطُ أبي الأسود»[20].

انطلاقًا من هذه الرِّوايات يُمكن الاطمئنان إلى القول القائل:« إنَّ القرآن الكريم كان السبب الأكبر في نشأة النَّحو، وإن هذه النَّشأة كانت في رحابِه، وإنَّ اللَّحن في

---

[18] - ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص19.

[19] - الزبيدي(أبو بكر محمَّد بن الحسن الأندلسي ت379هـ)، طبقات النَّحويين واللُّغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1984م، ص11.

[20] - السيرافي(أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت385هـ)، أخبار النَّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، 1405هـ/1985م، ص34-35.

قراءته كان هو اللافِت للنَّظر والدَّاعي لتقنين كلام العرب بما يحفظ عليهم لغتهم فصيحة سليمة من الاضمحلال والذهاب»[21].

وهكذا نجد الروايات التي ذكرها العلماء القدماء- وبعض المحدثين- تعلِّل نشأة النَّحو العربي وترجعها إلى العامل الديني، ممثلاً في القرآن الكريم، إلاَّ أنَّ المشكلة لم تنتهِ بعد، فقد بقي اللَّحن منتشرًا وشائعًا بين النَّاس وحتى بين العلماء أنفسهم، فقد روى محبُوب البصري عن خالد الحذاء قوله:« سألتُ نصر ابن عاصم عن قراءة: **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** [الإخلاص، الآية:01] كيف نقرؤها؟ قال:" قل هو الله أَحدُ، اللهُ الصمدُ"لم ينون، قال: فأخبرتُه أنَّ عروة ينوِّن، فقال: بئسما قال، وهو للبئس أهل، قال: فأخبرت عبد الله بن إسحاق بقول نصر بن عاصم فمازال يقرأ حتى مات»[22].

يبدو من هذه الرواية أنَّ" نصر بن عاصم" و" عبد الله بن أبي إسحاق"ت(117هـ) قد جانبا الصواب حينما ذهبا إلى القراءة بدون تنوين، والصحيح هو ماذهب إليه عروة، وقراءته هي القراءة الصحيحة لدى الأمصار، ويعضد هذا الرأي ما ذكره الطبري(ت310هـ) في قوله:« الصواب في ذلك عندنا: التنوين لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين وأشهر الكلامين، وأجودهما عند العرب، والثاني: إجماع الحجة من قراء الأمصار على اختيار التنوين فيه»[23].

ولا غرابة في أنَّ النَّحو العربي ارتبط في نشأتِه بالقرآن الكريم، فقد عرف عن النَّحو الهندي- مثلاً- أنَّه نشأ لخدمة(الفيدا)[*] ، وأنَّه اكتسب قداسته ومكانته من الدِّين، وتذكر الأخبار قولهم:« إنَّ الماء هو أقدس شيء على الأرض، والكتب المقدَّسة أكثر قداسة من الماء، ولكنَّ النَّحو أكثر قداسةً حتى من الكتب المقدَّسة»[24].

---

[21] - إبراهيم عبد الله رفيدة، النَّحو وكتب التَّفسير، الدار الجماهيرية للنشر والتَّوزيع والإعلان، ط3، بنغازي، ليبيا، 1399هـ/1990م، ج1، ص38.

[22]- السيرافي، أخبار النَّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، ص38-39.

[23]- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ت310هـ)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، دار هجر للنشر والطباعة والتوزيع والإعلان، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج24، ص730.

[*]- الفيدا:" هو الكتاب المقدس لدى الهنود".

[24] - أحمد مختار عمر، البحث اللُّغوي عند الهنود وأثره على اللُّغويين العرب، دار الثقافة، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1972م، ص74.

وهكذا يبدو أنَّ علم النَّحو انطلق من منطلق قرآني والذي وضـــع أوَّل لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنَّه يؤسِّـس لعلم سـيصـبح له خطره وشـأنه في الثقافة العربية الإسلاميَّة، ولم يدرِ بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنَّه قد أعرب المصـحف- على ما تعارفت الأجيال من بعده- وقد نظر مؤسـسـوا النَّحو إلى الإعراب بمعناه الواســع المتضــمِّن للإبانة، أو قل طريق العرب في التعبير، فحرصوا على تمكين إخوانهم المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم، ولم ينظروا إلى إكسـاب غير العربي فصـاحة العربي وبلاغته، ولكنَّهم أخذوا على عاتقهم وضـع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صـحيحًا كما ينطقه العرب، ليحموا الناس من الوُقوع في شـــيء من اللَّحن في كتاب الله، أو قل كتاب الله من اللاَّحنين[25].

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنَّ علم النَّحو لم ينفصل عن القرآن الكريم إلاَّ بعد مرور زمن ليس بقصـير تخللته عناية العلماء بجمع اللُّغة، ومشـافهة الأعراب في أماكن الفصـــاحة، ورصـــد الظواهر اللُّغوية لاســـتخراج القواعد المبنيَّة على الاطِّراد والانسجام، ثمَّ معرفة كثير من خصائص اللَّهجات العربية المختلفة، وهكذا بدأ علم العربية يتَّصـــل بروافد أخرى غير القرآن الكريم، إذ اتَّجه علم العربية إلى الشعر والموروث اللُّغوي عند القبائل الموثُوقِ بفصاحتها، والمشهود بخلو لغتها من شـوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى، وفي هذا الخضـم الكبير من اهتمام العرب والمسـتعربين بجمع اللُّغة من مصـادرها الصَّـافية وسـلائق القبائل العربية أخذ علم النَّحو يتكوَّن، وأخذت مصـطلحاتُه تظهر، وقواعده ترتسـم، ليصـبح علمًا له كيانه الـخـاص وقـوانـيـنـه الـتـي تـحـكـمـه ورجـالـه الـذيـن يـنـتسـبـون إليه[26].

3- أهميَّة علم النَّحو في دراسة النَّص القرآني وفهم ألفاظه معانيه:

لعلَّـه من نـافلـة القول أن نورد هـذا الخبر الطريف الـذي أورده" ابن خلكان"(ت681هـــــ) في بيان فضـل علم النَّحو، قال:« قال أبو بكر بن مجاهد المقرئ(ت342هـــــ): قال لي ثعلب: يا أبَا بكر اشـتغلَ أصـحابُ القرآن بالقرآن

[25] - عوض بن حمد القزوي، اللُّغة والقرآن، سـلسـلة تصـدر عن النادي الأدبي الثقافي،(د، ط)، جدة، السعودية، (د، ت)، ص14.
[26] - المرجع نفسه، ص22.

ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيدٍ وعمرو، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده، فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم تلك اللَّيلة في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس عنّي السلام، وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل[27]. قال أبو عبد الله الرُوذَبَارِي العبد الصالح: أراد أنَّ الكلام به يُكمل، والخطاب به يُجمل، وأنَّ جميع العلوم مفتقرة إليه»[28].

وروي عن الحسن البصري(ت110هـ)- وهو أحد التابعين- أنَّه قال:« من لحن في القرآن فقد كذب على الله»[29].

كما روي عن بعض الفقهاء قولهم:« من لحن في القرآن فقد كفر»[30]؛ لأنَّ قارئًا لو قرأ:" **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**"[الفاتحة: الأية: 07]، بضمِّ التَّاء في (أنعمتُ)- لكان ظاهر كلامه. وكذلك، فلو قرأ:" **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوٌ أَحَداً**"[الإخلاص: الآية:04]، برفع(كُفُوٌ)، ونصب(أَحَدًا)- لكان قد أثبت كفوًا لله تعالى عمَّا يشركون.

---

[27] - هناك اختلاف في الرِّوايات حول الذي رآه" أحمد بن موسى بن مجاهد" في المنام، ففي حين ذهب" ابن خلكان" إلى أنَّه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فإنَّ الشنتريني(ت550هـ) إلى أنَّه رأى" محمَّد بن أحمد بن غالب الزاهد الباهلي المصري(ت75هـ) في خبر رواه عن" أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد"- رحمه الله تعالى- قال:« كنتُ عند أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب، فتذاكرنا العلوم، فقال لي: يا أبا بكر، شُغلتُم أنتم بعلم القرآن ففزتم، وشُغل أهل الفقه بالفقه فنجوا، وشغلت أنا بزيدٍ وعمرو، وما أدري ما يكون أمري غدًا مع الله عزَّ وجلَّ، وبكى بكاءً شنيعًا، فانصرفت من عنده فرأيتُ في تلك اللَّيلة محمد بن أحمد بن غالب الزاهد في النَّوم، فقال لي: يا أبا بكر، تعرف أبا العباس أحمد بن يحي ثعلبًا، فقلت: صاحبُنا، قال لي: إذا كان غدًا فأقرأ عليه السلام، وقل: أنت غدا في القيامة صاحب العلم المستطيل». ينظر هذا الخبر: الشنتريني(الإمام الرئيس أبي بكر محمد بن عبد الملك النَّحوي ابن السراج ت550هـ)، =كتاب تنبيه الألباب على فضائل الأعراب، دراسة وتحقيق: عبد الفتاح الحموز، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1416هـ/1995م، ص27-28.

[28] - في كتاب:" تنبيه الألباب على فضائل الأعراب"، ص28. قال"الشنتريني":« يعني بقوله- والله أعلم- العلم المستطيل أنَّه يستطيل على سائر العلوم، وأنَّ سائر العلوم فقير إلى النَّحو».

[29] - الزمخشري(جار الله محمود بن عمر ت538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف، إحياء التُّراث الإسلامي،(د، ط)، العراق، 1400هـ/1980م، ج3، ص254. وجاء في هامشه:« سئِل الحسن عن رجل يتعلَّم العربية ليعرف بها حُسن المنطق، ويقيم بها وجهه، فقال، فليتعلمها فإنَّ الرَّجل يقرأ الآية، فيعيا بوجهها، فيهلك بها».

[30]- الشنتريني، كتاب تنبيه الألباب على فضائل الأعراب، ص43.

ونتيجة لأهميَّة النَّحو فقد حرص النَّاس- عرب وأعاجم- على الظَّفر بتعلُّمه؛ من أجل تقويم ألسنتهم من خلال امتلاك ناصية قوانينه وأحكامِه إدراكًا منهم، بأنَّ تعلمه- كما يقول أبو أيُّوب السختياني-:« جمالٌ للوضيع، وتركه هجنةٌ على الشريف»[31]. كما أمرنا سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-بتعلُّم النَّحو العربي، فقال:« تعلَّموا النَحو، كما تَعلَّمُونَ السُّنن والفرائض»[32]. ورحم الله الكسائي (ت189هـ) الذي قال في وصف النَّحو وبيان فضله والحثِّ على تعلُّمه[33]:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَع
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى مَرَّ فِي المَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَع
فَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
إِذَا لَمْ يُبْصِرْ النَّحْوَ الفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَطَعْ
فَتَرَاهُ يَنْصِبُ الرَّفْعَ وَمَا كَانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
يَقْرَأُ القُرْآنَ لاَ يَعْرِفُ مَا صَرَّف الإِعْرَابُ فِيهِ وَضَعْ
وَالذِي يَعْرِفُهُ يَقْرَؤُهُ وَإِذَا شَكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعْ
نَاظِرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ فَإِذَا مَا عَرِفَ اللَّحْنَ صَدَعْ
فَهْمًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ لَيْسَتْ السُّنَّةُ مِنَّا كَالبِدَعْ
كَمْ وَضِيعٍ رَفَعَ النَّحوُ، وَكَمْ مِنْ شَرِيفٍ قَدْ رَأَينَاهُ وَضَعْ

كما تنبَّه الزَّجاجي(ت337هـ) إلى الفائدة العظيمة والجليلة التي يقدِّمها علم النَّحو، قال:« فإن قال قائلٌ: فما الفائدة في تعلُّم النَّحو، وأكثر النَّاس يتكلَّمون على سجيتهم بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، فيَفهمون ويُفهِمون غيرهم مثل ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يُقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التَّكلُّم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدَّل ولا مغيَّر، وتقويم كتاب الله عزَّ وجلَّ الذي هو أصل الدِّين والدُّنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلَّم، وإقامة معانيها على الحقيقة؛

(31) ـ الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، القاهرة، مصر، 1418هـ/1998م، ج2، ص219.
(32)ـ المصدر نفسه، ج2، ص219.
(33)ـ القفطي(الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف ت624هـ)، انباه الرواة على أنباة النُّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، القاهرة، بيروت، 1406هـ/1986م، ج2، ص267.

لأنَّه لا تفهم معانيها على صحَّة إلاَّ بتوفيتها حقوقها من الإعراب»[34].

كما بيَّن" ابن جنِّي" قيمته أيضًا- النَّحو- في بابٍ أفرده من كتابه القيم" الخصائص" سمَّاه:(باب القول في الإعراب) قال فيه:« هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنَّك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبِه»[35]. فالرَّفع هو الذي بيَّن الفاعل، ولولا العلامات الإعرابية الظاهرة على الآخر لما استطعنا تحديد أحدهما من صاحبه.

فالنَّحو نشأ- كما يرى الباحث عبده الراجحي-:« لفهم القرآن وفرقٌ كبيرٌ بين علم يسعى لفهم النص وعلمٌ يسعى لحفظه من اللَّحن»[36]. ذلك أنَّ العلوم العربية- الإسلامية وعلى رأسها علم النَّحو نشأت لخدمة النَّص القرآني، كما أنَّ هناك فرقًا بين محاربة اللَّحن وإرادة الفهم، فلو كان المقصود هو محاربة اللَّحن لاقتصر الأمر على كلِّ ما يُفيد في استنطاق النُّصوص واستظهارها وكذا معرفة ما تؤدِّيه في التَّراكيب القرآنية المختلفة على الوجه المراد، وذلك باعتبارها تمثل أعلى درجات البلاغة والبيان في العربية.

لقد كانت نشأة النَّحو- كما سبق وذكرنا- مرتبطة أشدَّ الارتباط بالقرآن العزيز، ومتصلاً به أوثق اتِّصال، حتى صار دور النَّحو مهمًا في بيان معاني مفردات القرآن الكريم، ومتفوقًا- في كثير من الأحايين- على دور اللُّغة في التأصيل والاشتقاق، يقول أحد الدَّارسين في بيان فضل النَّحو قائلاً:« إذا كان التَّفسير القرآني سار في أوَّل أمره في طريق الرِّواية، واتبع منهجًا تخريجيًّا من المفسرين، فإنَّ النُّحاة كانوا من أوائل الدَّارسين الذين لفتُوا إلى الاعتماد على اللُّغة والتَّفسير، مادام القرآن نزل بهذه اللُّغة»[37].

---

(34) - الزجاجي(أبو القاسم ت337هـ)، الإيضاح في علل النَّحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ص95.

(35)- ابن جني، الخصائص،ج1، ص35.

(36)- - عبده الراجحي، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1975م، ص10.

(37) - سيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(د، ط)، بيروت، لبنان، 1969م، ص70.

كما تبيَّن للنُّحاة أنَّ« بمعرفته- أي النَّحو- يعقل عن الله عزَّ وجلَّ كتابه، وما استوعاه من حكمة، واستودعه من آياته المبينة، وحججه المُنيرة، وقرآنه الواضح، ومواضعه الشافية، وبه يفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره المؤدية لأمره ونهيه وشرائعه وسننه، وبه يتَّسع المرء في منطقه»[38].

ونتيجة لأهميَّة القرآن على علم النَّحو فقد« قامت على أساسِه قواعد وبُنيت على نهجِه أُصول سواء أكان ذلك معه شواهد أُخرى تُدعِّم هذه القواعد أم لم تكن، وسواءٌ أكانت هذه الأصول تتَّفق مع أُصول النُّحاة أم لا تتَّفق؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم أغنى قواعد النَّحو، وزاد من قيمتها، وأمدَّها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب»[39]. يضاف إلى ذلك أنَّ« النُّحاة أنفُسهم كانوا يؤمنون بهذا الاتِّجاه، ويعتقدون أنَّ الشعر دون القرآن في موطن الاستشهاد، وفي مجال بناء القاعدة»[40].

لقد كان خليقًا بمن وضعوا النَّحو، وأسَّسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد، ويستندون إليه في وضعهم للنَّحو العربي؛ لأنَّ أسلوب القرآن الكريم مبرأ من الضرورات والشواذ والشوارد التي حفل بها الشعر وامتلأ بها غريب اللُّغة الذي استندوا إليه بلا اعتدال ولا قصد[41].

وقد أدَّى الثَّراء النَّحوي للنَّص القرآني بالعلماء إلى الاستفاضة في موضوعات كثيرة، وأعملوا عقولهم في استنباط القواعد والأحكام فحدَّدوا الوظائف النَّحويَّة للأنماط التَّركيبيَّة المختلفة التي شهدها الارتقاء اللُّغوي، وتأكيد وُجوب وضع النَّحو العربي وتمحيصه ليصبح أداةً إيحائيَّة، من أجل تيسير أغوار الخطاب اللُّغوي والأدبي معًا، وإخضاعه لسلطاء النِّظام اللُّغوي الخالي من التعقيد والتَّمحل والتعسف والشطط، ويُحقِّق صحَّة الصِّناعة النَّحويَّة اعتمادًا على لغة الخطاب القرآني في تحديد العلاقة القائمة بين أجزاء التَّركيب على أساس أنَّها وظائف يؤدِّيها كل مكوِّن بحسب ارتباطِه بما بعده وما قبله.

بناءً عليه فالنَّحو مهم في فهم لغة القرآن الكريم؛ لأنَّه يحدِّد الدّلالة والغاية مع مراعاة الأحكام اللُّغويَّة العامَّة، وبذلك فهو يُمثِّل جانبًا مهمًا من العلوم الآلية والبينية

---

(38) ـ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م، ص159.

(39)- عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدِّراسات النَّحويَّة، ص306.

(40)- المرجع نفسه، ص330.

(41) ـ أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، مكتبة اللغة العربية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،(د، ط)، بغداد، العراق، 1394هـ/1974م، ص8-9.

في الإبانة عن مقاصد الكلام على الصورة التي يقتضيها اللَّفظ من أجل الكشف عن المعنى، ويشكل جوهر الجودة في النَّص المدروس، ذلك أنَّ الالتزام به يعدُّ السبيل الذي يؤدِّي إلى الاستمتاع والتَّدبر إذ إنَّه ظاهرة لغويَّة وصورة نطقيَّة تؤخذُ من قراءة القرآن، فالتَّراكيب النَّحويَّة مختلفة تؤدِّي معانٍ متباينة تتفق مع وجوه التَّفسير ودقَّة اللُّغة[42].

وقد اهتم العلماء بلغة القرآن لما فيها من إعجازٍ في تأصيلها، فهي تعطي النَّص تماسكًا وقوَّةً واتِّساقًا، وجدوا فيها وسيلةً لتوطين النِّظام اللُّغوي خاصَّةً التناسق المنطقي بين مستوياته، ومنها المستوى النَّحوي واللُّغوي اللَّذان يردان في النَّص لدوافعٍ سياقية بحتة وكذا للتنويع في أساليب التَّعبير، زاخرين بالمعاني النفسية، ويحملان أسرارًا جمالية، إنَّهما من أعمق الظواهر اللُّغويَّة في النَّص القرآني يؤدِّيان دورًا لغويًّا مميَّزًا، لهما تأثيرٌ واضحٌ في إسقاط الزيادة، وتحقيق الانسجام والاتِساق الذي يستريح له ذوق المستمع[43]. وتوسَّع شيخ النَّحويين والبلاغيين" عبد القاهر الجرجاني"(ت474هـ) في الإشادة بعلم النَّحو وبيان فضله ووظيفته ومعناه ودوره الرِّيادي، جاعلاً منه الوسيلة الأولى والأخيرة لفهم النَّظم القرآني البديع في ألفاظه ومعانيه، ورأى أنَّ دائرته- أي النَّحو- يجب أن تكون أوسع من البحث في الإعراب وضبط أواخر الكلم، وأنَّها يجب أن تتوسع لتشمل نظم الكلام، لذلك تحدَّث عن النَّظم، وأعظم من قدره، فقال:« اعلم أن ليس النَّظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، وتعمل على قوانينه وأُصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت عليه فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها»[44]. وأضاف قائلاً:« فلستُ بواجدٍ شيئًا يرجع صوابُه إن كان صوابًا، وخطؤُه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلاَّ وهو معنى من معاني النَّحو قد أُصيب به موضعه[...] فلا ترى كلامًا قد وُصف بصحَّة نظمٍ أو فساده، أو وُصف بمزيَّةٍ وفضلٍ فيه، إلاَّ وأنت تجد مرجع تلك الصِّحة وذلك الفساد وتلك

---

(42)- ينظر: عبد القادر بن فطة، أهميَّة النَّحو في فهم لغة القرآن، حوليات الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، مج5، ع10، فيفري2018م، ص241-242.

(43) - المرجع نفسه، ص248.

(44)- الجرجاني(عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي ت474هـ)، كتاب دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،(د، ط)، القاهرة،(د، ت)، ص81.

المزيَّة وذلك الفضـــل إلى معاني النَّحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصـــلٍ من أصوله، ويتَّصل ببابٍ من أبوابِه»[45].

كما توقف" عبد القاهر الجرجاني" على الدَّور الذي يؤدِّيه الإعراب- باعتباره يمثِّل أحد فروع علم النَّحو- في فهم دلالة الألفاظ والكشـــف عن معانيها، قال:« إذا كان قد عُلم أنَّ الألفاظ مُغْلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنَّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنَّه المعيار الذي لا يُتبيَّن نقصـــان كلامٍ ورُجحانِه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صـــحيحٌ من ســـقيمٍ حتى يُرجع إليه، لا يُنكر ذلك إلاَّ من ينكر حِسَّـــه، وإلاَّ من غالط في الحقائق نفســـه»[46]. محصـــول الكلام يمكن القول: إنَّ الباعث الدِّيني كان له الأثر الفعال والكبير في نشـــأة النَّحو العربي، بدايةً، وتجميعًا، وتوحيدًا، وليس غريبًا أن يكون القرآن الكريم ســـببًا رئيسًـــا في ظهور علم النَّحو؛ لأنَّ النَّحو يدرس التَّراكيب العربية المختلفة، وكذا يرصـــد الظَّواهر الإعرابية- على اختلافِها- النَّاجمة عن القرائن وخاصـــة اللَّفظيَّة، كما أنَّ قراءة القرآن وتلاوته تعتمد اعتمادا رئيســيًّا على تغيير أواخر الكلم؛ ينضـــاف إلى ذلـك أنَّ اللَّحن ظهر بـادئ الأمر في الإعراب.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1- إبراهيم عبد الله رفيدة، النَّحو وكتب التَّفسير، الدار الجماهيرية للنشر والتَّوزيع والإعلان، ط3، بنغازي، ليبيا، 1399هـ/1990م.

2- الأشـــموني(أبو الحســـن نور الدين علي بن محمد بن عيســـى بن يوســـف ت929هـــ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمَّى - منهج السالك إلى ألفية

[45]- المصدر نفسه، ص83.

[46]- المصدر نفسه، ص28.

ابن مـالـك-، تحقيق: محمـد محي الـدين عبـد الحميـد، دار الكتـاب العربي، ط1، بيروت، لبنان،1375هــــــ/1955م. 3- أحمد جلايلي، مقدِّمـة لأصـــول النَّحو العربي، دار الكتـاب الحـديث، ط1، القـاهرة، مصـــر، 1434هـ/2013م.

4- أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، مكتبة اللغة العربية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،(د، ط)، بغداد، العراق، 1394هـ/1974م.

5- أحمد مختار عمر، البحث اللُّغوي عند الهنود وأثره على اللُّغويين العرب، دار الثقافة،(د، ط)، بيروت، لبنان، 1972م.

6- ابن الأنباري(أبو البركات كمال الدِّين عبد الرحمن بن محمَّد ت577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المنار، ط3، الزرقاء، الأردن، 1405 هـــ/1985م.

7- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ-)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد الســلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشــر - والتوزيع، ط7، القاهرة، مصـــر، 1418 هــــ/1998م.

8- الجرجاني(عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي ت474هــــ)، كتاب دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،(د، ط)، القـــاهـــــرة،(د، ت).

9- ابن جني(أبو الفتح عثمان ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،(د، ط)، مصر،(د، ت).

10- حسن عون، اللُّغة والنَّحو، دراسة تاريخية وتحليليَّة ومقارنة، مطبعة روايال، ط1، القاهرة، مصر، 1952م.

11- خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.

12- ابن خلدون(ولي الدِّين عبد الرحمن بن محمد ت808هـ)، مقدِّمة ابن خلدون، حقَّق نصوصه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه: عبد الله بن الدَّرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، سوريا، 1425هـ/2004م.

13- الزبيدي(أبو بكر محمَّد بن الحسن الأندلسي ت379هـ)، طبقات النَّحويين واللُّغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1984م.
14- الزجاجي(أبو القاسم ت337هـ)، الإيضاح في علل النَّحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.
15- سيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(د، ط)، بيروت، لبنان، 1969م.
16- الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ت538هـ)،
- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف، إحياء التُّراث الإسلامي،(د، ط)، العراق، 1400هـ/1980م.
17- السيرافي(أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت385هـ)، أخبار النَّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، 1405هـ/1985م.
18- الشنتريني(الإمام الرئيس أبي بكر محمد بن عبد الملك النَّحوي ابن السراج ت550هـ)، كتاب تنبيه الألباب على فضائل الأعراب، دراسة وتحقيق: عبد الفتاح الحموز، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1416هـ/1995م.
19- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ت310هـ)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، دار هجر للنشر والطباعة والتوزيع والإعلان، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م.
20- عبده الراجحي، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1975م.

21- ابن عبد ربه(ت328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1404هـ.
22- عبد الله بن عبد المحسن التُّركي ومحمَّد رضوان عرقسوسي، مؤسَّسة الرِّسالة للطباعة والنشر والتَّوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.
23- عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدِّراسات النَّحويَّة، مؤسَّسة علي جراح الصباح، ط3، الكويت، 1978م.
24- عبد السلام غشير، تطور التَّفكير اللُّغوي من النَّحو إلى اللِّسانيات إلى التَّواصل، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، المغرب، 2010م.
25- عوض بن حمد القزوي، اللُّغة والقرآن، سلسلة تصدر عن النادي الأدبي الثقافي،(د، ط)، جدة، السعودية، (د، ت).
26- ابن عصفور الإشبيلي(أبو الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي الحضرمي ت669هـ)، المقرب ومعه مُثُل المقرب، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود ومحمد علي عوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.
27- عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنية في تطوُّر الدرس النَّحوي، معهد الإنماء العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1978م.
28- ابن فرخان(كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم ت548هـ)، المستوفى في النحو، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية،(د، ط)، 1407هـ/1978م.
29- القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمَّنه من السنَّة وآيِ الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي ومحمَّد رضوان عرقسوسي، مؤسَّسة الرِّسالة للطباعة والنشر والتَّوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.
30- القفطي(الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف ت624هـ)، انباه الرواة على أنباة النُّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، القاهرة، بيروت، 1406هـ/1986م.
31- ابن كمال باشا، ثلاث رسائل في النحو، تحقيق: محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.

مصطفى غلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط28، صيدا، بيروت، 1414هـ/1993م.
32- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت711هـ) لسان العرب، دار صادر،(د، ط)، بيروت، لبنان،(د، ت).
33- ابن الناظم(بدر الدين محمد بن مالك)، شرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الحميد السيد عبد الحميد، دار الجيل،(د، ط)، بيروت، لبنان،(د، ت).

المقالات:

34- علي أبو المكارم، القرآن والنَّحو، نظرة على مراحل العلاقة التَّاريخيَّة، سلسلة دراسات عربية وإسلاميَّة، مركز اللُّغات الأجنبيَّة والتَّرجمة، القاهرة، مصر، ع17، 1993م.
35- عبد القادر بن فطة، أهميَّة النَّحو في فهم لغة القرآن، حوليات الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، مج5، ع10، فيفري2018م.